مراحل تطور شكل المقبرة الملكية في مصر القديمة

(من الدولة القديمة إلى عصر الملك تحتمس الأول بالدولة الحديثة)

The Devolpment Stages of Royal Tomb Structure in Ancient Egypt (From the old kingdom to the era of Tuthmosis I in the new kingdom)

د. محمود مرسي محمد جارحي

كلية الفنون الجميلة.. جامعة حلوان (قسم تاريخ الفن)

تمهيد:

اهتم المصريون القدماء برعاية موتاهم بالحفاظ على الجثة من التلف وبإقامة الطقوس الجنائزية التي تضمن للمتوفي مروراً آمناً بالعالم الآخر، كما أقاموا مقابر لحماية جثامين الموتى والحفاظ على كل ما يودع بالمقبرة من ذخائر ونفائس.

ومع البدايات الأولي لتوحيد القطرين بمصر القديمة ، وظهور مملكة موحدة ، بدأ إرساء تقاليد وملامح واضحة للمقبرة ، فبعد أن بدأت من حفرة في الأرض ترقد فيها الجثة على هيئة القرفصاء ، تطورت أشكالها وأصبحت أكثر تعقيداً خلال فترات التاريخ المصري القديم ، خاصة مقابر الملوك والتي ميزها الفنانون عن مقابر النبلاء وكبار رجال الدولة ، كما حرصوا علي الابتكار والتجديد في شكلها من فترة لأخري، وقد استفاد المعماريون من التجارب السابقة في كل عصر، فبعد أن عاصروا سرقة محتويات الهرم بالدولة القديمة، واكتشفوا أن الممرات المعقدة بمقابر الدولة الوسطي لم تستطع حماية جثمان الملك وما بالمقبرة من أثاث جنائزي ، لهذا اتجهوا في الدولة الحديثة إلي نقر المقابر في صخر الجبل بوادي الملوك وراء هضاب طيبة الغربية، وهي منطقة قاحلة جدباء، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بفصل المعبد الجنائزي عن المقبرة حتى لا يعرف طريقها اللصوص.

كل هذه الأحداث دفعت بالباحث لدراسة مراحل تطور شكل المقبرة الملكية من بداية الأسرة الثالثة إلى عصر الملك تحتمس الأول بالأسرة الثامنة عشرة ، وهي الفترة التي تحوي بين طياتها المحطات الرئيسية لتطور شكل المقبرة الملكية في مصر القديمة والتي يقسمها إريك هورنونج إلي أربع مراحل رئيسية (هورنونج، 2002، صفحة 50) ، وقد حرص المعماريون في هذه المراحل أن تكون المقبرة الملكية متميزة بوضوح عن كل المقابر الأخرى في الشكل والحجم والموقع .

Abstract:

Ancient Egypt is known for its to restore life and give immortality to the dead owner. Tomb in ancient Egypt was one of the most influential civilizations and designed to reflecte their religious function. Tomb was sacred for controlling the chaotic, evil forces in the universe that sought to undermine universal order. Throughout history, Architectural Tomb developed a vast array of diverse structures, great architectural monuments, The built starting with shallow graves and bodies buried in a fetal position. The ancient Egyptian Tomb architecture style of kings was significance than Nobles and courtiers. Tomb robbing Early Dynastic Period was recognized as a serious problem. Whereas its constructed in pyramid complex and the chambers and hallways of the tomb filled with debris, to prevent theft, but even so, the tomb was broken into and looted; even the king’s mummy was taken. This what make

architecture in New Kingdom of Egypt commissioned a special village to be constructed near Thebes with easy access to a new royal necropolis, which would be more secure. This new burial place is known today as the Valley of the Kings
By these great stages we start to analyze The Devolpment Stages of Royal Tomb Structure in Ancient Egypt From the old kingdom to first Tuthmosis in New Kngdom which includes the main stage of development in ancient Egyptian royal tomb.

مشكلة البحث:

تشهد مناطق مصر المختلفة زخماً شديداً من حيث الآثار المصرية القديمة المرتبطة بالجانب الجنائزي ، خاصة المقابر الملكية ، وقد تنوعت تلك المقابر في أشكالها وأحجامها ما بين حفرة بسيطة في رمال الصحراء أو مصطبة ، ومنها ما هو علي الهيئة الهرمية ، أو مقابر تم نحتها بالصخر في الجبال أو تحت سطح الأرض ، ومع ما كان للمقبرة الملكية في مصر القديمة من أهمية في حفظ الجثة تمهيداً للانتقال إلي العالم الآخر أو للتحول لنجم في السماء أو لمرافقة الإله رع في العالم الآخر ، لا نجد بالمكتبة العربية ما يكفي من الدراسات الفنية التي تغطي مراحل تطور شكل المقبرة الملكية ، من الدولة القديمة إلى عصر الملك تحتمس الأول بالدولة الحديثة .

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث لدراسة مراحل تطور شكل المقبرة الملكية من الدولة القديمة إلى عصر الملك تحتمس الأول بالدولة الحديثة، وذلك بالقراءة الفنية التحليلية لأهم الشواهد والنماذج التي تعبر عن تلك المراحل.

حدود البحث: يشتمل البحث علي.

حدود مكانية: مصر القديمة.

حدود زمانية: من بداية الدولة القديمة إلى عصر الملك تحتمس الأول بالدولة الحديثة.

منهج البحث: يتبع الباحث المنهج (تاريخي – وصفي – تحليلي).

الإطار النظري:

اهتم المصريون القدماء منذ فجر التاريخ بإنشاء المقابر لدفن موتاهم ، وقد كانت أقدم المقابر في مصر القديمة عبارة عن حفرة مستديرة أو بيضاوية ، ثم أصبحت تقام بعد ذلك بتخطيط مستطيل الشكل ، تتكون من غرفة واحدة يمكن أن تضاف إليها غرفتان أو أكثر ، كما اهتم المصريون القدماء بوضع بعض احتياجات المتوفي من الطعام والشراب وبعض المتعلقات التي قد يحتاجها عند بعثه مرة أخري في العالم الآخر ، " وكانت المقابر الفخمة ، والعطايا الوافرة ، قاصرة في أول الأمر علي الملوك ، فمقبرة نقادة الكبيرة في مصر العليا ، التي دفن فيها أحد ملوك العهد العتيق ، وهي مبني مستطيل من اللبن ذو جدران قوية مائلة إلي الداخل ، تتخللها مشكوات متداخلة تضفي علي البناء شكل القصر ، وكان السقف من جذوع النخيل ، وكانت تشتمل علي غرفة كبيرة للجثة في الوسط ، وعلي أربع غرف أخري ، كانت تحتوي علي كميات كبيرة من الأطعمة ، وقدور النبيذ ، والجعة ، وأرائك من العاج ، وأواني فاخرة من الأحجار ، وما عدا ذلك من سائر الأثاث المنزلي ، الذي يحتاج إليه الملك بعد الموت ، ومن بعض قبور هذا العصر السحيق ما يدل فيه دفن الميت

علي عناية بينة بحفظ الجثة، التي احتفظت بوضع القرفصاء ، كما كان الأمر من قبل فقد كان يخاط عليها جلد أو حصير ". (إرمان، 1997، صفحة 277)

وبعد أن انتقل المجتمع المصري القديم من مرحلة العصور الحجرية إلي عصر بداية الأسرات، تطور من مجموعة من القبائل والجماعات المتفرقة إلى جماعات أكبر وزعامات متحدة ثم إلى مملكتين ؛ مملكة الشمال في الدلتا (الوجه البحري)، ومملكة الجنوب في (الوجه القبلي)، وفي تلك الأثناء أصبح لكل من الوجهين القبلي والبحري طراز المقابر الخاص به ، ففي طراز الوجه القبلي الذي كانت أبيدوس ممثلة له نري المقبرة عبارة عن غرفة كبيرة نسبياً تقع تحت سطح الأرض، وتحاط بمجموعة من الحجرات الصغيرة التي كانت مخصصة لحفظ القرابين والأثاث الجنائزي ، غطيت جدرانها بطبقة من الجص ثم رسم الفنان المصري القديم عليها بعض الموضوعات المرتبطه بالطقوس الجنائزية ، أما طراز مقابر الوجه البحري الممثل في سقارة ؛ فبالرغم من كونها تتشابه مع طراز أبيدوس في الحجرات السفلية ، إلا أنها كانت تتميز بسور ضخم فوق الأرض له أكتاف خارجة وداخلة ، استوحي الفنان شكلها من واجهات القصور الملكية ومن البيوت القديمة المصنوعة من الحصير المجدول الملون والأنسجة متعددة الألوان ، وقد تميزت تلك القصور بواجهاتها وبواباتها وزخارفها وطابعها المعماري المميز بخطوطها الرأسية المستقيمة وأكتافها التي تبدو كأعمدة ملتصقة ، بما يعكس اهتمام الفنان بتشكيل المقبرة كبيت للخلود في العالم الآخر ، علي غرار قصر الملك الدنيوي ، ومما يؤكد تلك الفكرة ما تزينت به جدران التوابيت في الدولة القديمة والوسطي من أشكال لواجهات القصور تشبه تلك الجدران إلي حد كبير.

المقابر الملكية بالدولة القديمة:

بعد شيوعها كمقبرة ملكية خلال العصر العتيق" لا شك أن المصطبة تطورت إلي طبقات أو إلي الهرم المدرج وصولاً إلي الشكل الهرمي الكامل " (REISNER G. A., 1934, p. 580) ، حيث نري أن هرم زوسر المدرج يتشكل في الأساس من 6 مصاطب ، كما نلاحظ أنه في هرم الملك حوني – آخر ملوك الأسرة الثالثة – أن المعماريون قد ملؤا ما بين المصاطب بالحجر الجيري حتي يبدو كأنه هرم حقيقي ، إلا أن هذا الكساء قد سقط مع مرور الزمن ، ويعتبر إريك هورننج أن هذه المرحلة هي الثانية في مسيرة تطور المقبرة الملكية . (هورنونج، 2002، صفحة 50)" وقد امتدت هذه المرحلة ما بين (2700 – 1640 ق.م.) كما اتسم هذا التحول من المصطبة إلي الهرم الصحيح بالبطء " (Hobson, 1990, p. 63) ، والاتجاه لشكل الهرم الصحيح يعكس هدف الفنان ومحاولاته الدائمة الوصول لشكل التل الأزلي ، وهي الفكرة التي سيطرت عليه دائماً في تشكيل الكثير من العناصر المعمارية التي أقامها فوق الأرض في مصر القديمة .

هرم زاوية العريان:

زاوية العريان هي منطقة تقع بين الجيزة وأبوصير ، ويوجد بها مجموعتين لأهرامات ومصاطب ، يوجد هرم مدرج مسمي باسم المنطقة بني في عهد الأسرة الثالثة ، ويعتبر من أقدم المقابر الملكية التي اختلف بناؤها عن المصطبة ويطلق عليه الهرم ذو الطبقات المدرج ، وهو مشيد من الحجر علي قاعدة مربعة – هي كل ما تبقي منه للآن – وقد " وجد بالهرم تابوت جرنيتي وردي يرجع تاريخه لحقبة زمنية لاحقة ، وربما يوجد للهرم غرفات تحت الأرض ". (هرم زاوية العريان، 2017) ، وبسبب تحطم بقايا هذا الهرم وعدم اكتمال اجزاءه لا نستطيع تحديد سمات واضحة للفنون المصاحبة للأعمال المعمارية به .

الهرم المدرج زوسر:

يعتبر الملك زوسر هو أهم شخصية ليس ببداية الأسرة الثالثة فحسب ، وإنما خلال تلك الأسرة علي الإطلاق ، وزوسر يعني (المقدس) وسمي أيضا بإسم (نثرخت) أي جسد الإله وقد ظل إسم زوسر حيا في ذاكرة المصريين لأعماله العظيمة وأهم الآثار التي خلدته ، هي تلك المجموعات الجنائزية التي بناها له مهندسه إيمحتب في سقارة ، لوحة (1، أ) ، تتسم تلك المجموعة بأبعادها الرشيقة وتفاصيلها المستوحاة من الأشكال النباتية ، مما أعطاها مظهر ينبض بالحياة قد يتعارض ظاهريا ع الهدف الجنائزي ، إلا أنه يتسق مع تصور المصريين القدماء لطبيعة وشكل الحياه في جنان الخلد (سكحيت يارو) بالعالم الآخر . وقد بني إيمحتب هذه المجموعة المعمارية علي مساحة بطول 544 متر من الشمال للجنوب وعرض 277 متر من الشرق للغرب ، وأحاطها بسور من الحجر الجيري تحلي سطحه الخارجي المشكاوات (أي الدخلات والخرجات) وتعطي شكل جمالي من الظل والنور مما يساهم في إعطاء بعد درامي في وجود الشمس . ولهذا السور أربعة عشر بابا وهميا تدخل فيه روح المتوفي وتخرج بحرية ، كما يوجد باب حقيقي في أقصي جنوب السور من الناحية الشرقية ، وقد رأينا ذلك الشكل من قبل في مقابر سقارة الملكية بالعصر العتيق.

وأهم عناصر المجموعة المعمارية هو الهرم المدرج، لوحة (1، ب) ، وقد بني في أول الأمر كمصطبة ضخمة مربعة تتجه أضلاعها إلي الجهات الأصلية الأربعة ، من الأحجار الجيرية بسقارة ، ثم تمت لها بعض الإضافات إلي أن أصبح 6 مصاطب يعلو بعضها فوق بعض ويصغر حجم ما يعلوه منها عما يسبقها فيأخذ شكلها الخارجي شكل الهرم المدرج ، كما أن مساحة قاعدته هي 125 X 109متر وارتفاع كل مصطبة 10 أمتار بما يشبه السلم ، بحيث تميل كل درجة من الدرجات الست إلي الداخل مما يزيد من قوة واستقرار البناء .

أما حجره الدفن فهي أسفل جسم الهرم المصمت، نصل إليها " بواسطة منحدر لا يلبث أن يتحول إلي ممر في الصخر موجود في الفناء الغربي من المعبد الجنائزي، هذا الممر يوصل إلي بئر مربعة طول كل جانب منها 7 أمتار وعمقها 28 متراً ، وتوجد حجرة الدفن التي شيدت من حجر الجرانيت الوردي في أسفل هذا البئر ، وتوجد فتحة اسطوانية في سقف حجرة الدفن تسمح بإنزال جثمان الملك جسر (زوسر) ، وكانت الفتحة مسدودة بكتلة كبيرة من حجر الجرانيت تزن ثلاثة أطنان ونصف الطن ." (توفيق، 1990، صفحة 81) .

غير هذا فهناك العديد من الممرات والغرف التي حفرت في الصخر الطبيعي تحت بناء الهرم ، وتشعبت في اتجاهات مختلفة بأطوال متباينة وعلي أعماق مختلفة ووجد بها الآف الأواني من الالباستر والجرانيت والديوريت والشست . وإلي جانب الهرم بني إيمحتب معبداً جنائزيا إلي الشمال ومعبد العيد الثلاثيني إلي الجنوب .

و " تعتبر مجموعة زوسر في سقارة دليلاً علي تزايد حق وقوة سلطة الملك الإله، فمجموعة زوسر بالقرب من ممفيس مركز القوة الثقافية والاقتصادية للدولة المصرية، ولذا تظهر المجموعة فخامتها وعظمتها وبأدلة كثيرة اخري كنقطة التحول في تطور عمارة المقابر، فهذه المجموعة أول منشأة أو أثر بنيت في العالم استعمل فيها الحجر المهيىء والمنحوت بمقاييس متساوية قائم الزوايا للبناء، وهذه المجموعة تجمع وحدات بناء منفصلة، ولأول مرة يظهر الشكل الهرمي كمقبرة ملكية." (شديد، 1998، صفحة 28) .

ولعل " أحد المبتكرات التي تبعث علي الدهشة نقل القبر التذكاري المقام في ابيدوس إلي أقصي جنوب هذه المجموعة للجمع بين قبري زوسر باعتباره ملكاً للوجهين القبلي والبحري في مكان واحد ، ولم يكن يعلو القبر الجنوبي هذا إلا مصطبة بسيطة داخلة في كتلة السور الخارجي جهة الجنوب ، محورها الطويل يتجه من الغرب إلي الشرق ، وقد ألحق بالقبر هيكل صغير حوائطه الخارجية مزخرفة بلوحات ومتوجة بإفريز مصور عليه حيات الكوبرا ، وهذا أول أثر تظهر عليه مثل هذه الزخرفة الملكية وعناصر الحماية في العمارة المصرية " (ألدريد، 1993، صفحة 75) وتعتبر احدي ابتكارات الفنان والوزير إيمحتب في ذلك الوقت المبكر من تاريخ مصر القديمة.

أما الجزء الذي حفر في باطن الأرض بهذه المقبرة الجنوبية فقد أثار كثير من الآراء ، وذلك لأن هذا الجزء لم يعثر داخله علي ما يؤكد أنه كان مخصص للدفن ، بمعني أنه لا يوجد به مكاناً يصلح أن يوضع به تابوت الدفن ، ومن ناحية أخري نجد أن بها من النقوش والكتابات مالا يسمح بالشك مطلقاً في أنها بنيت للملك زوسر ، ونظراً لمقاسات وأبعاد تلك المقبرة والتي لا تسمح بدفن إنسان طبيعي بأي حال من الأحوال ، يعتقد أنها استخدمت كقبر رمزي للملك ، باعتباره ملكاً للوجه القبلي ، وقد ميز الفنانون المقبرة الجنوبية بتزيين ممراتها السفلي بمناظر كثيرة للملك ، منها نحت بارز يصوره وهو يؤدي طقوس الحب سد ، يظهر فيها قوة وبأس الملك بما يؤكد مقدرته علي الاستمرار في الحكم وإدارة شئون البلاد ، كما زينت احدي الجدران بثلاث أبواب وهمية عليها نقش يمثل زوسر وفوقه اسمه وألقابه ، وتعتبر هذه المناظر الجدارية مثلاً رائعاً للفن المصري في عصر الدولة القديمة ، كما قام الفنان بتغطية جدران المقبرتين بوحدات صغيرة من الخزف المزجج التركواز، حوالي 8 5 x سم ، وهي مرصوصة بأسلوب جميل لتعطي شكل الحصير الملون المجدول الذي كان يزين قصر الملك في فترة حياته .

وبالإضافة لمحاكاة إيمحتب للتل الأزلي في بناء الهرم وما ذكر أيضاً في متون الأهرام أن الملك المتوفي سيستخدمه كسلم كي يصعد من خلاله إلي السماء لترتقي روحه وتتحول إلي نجم يرافق الإله رع (إله الشمس) في رحلته السماوية بقاربه في صحبة الموتى المباركين ، من الواضح أن هناك أهداف أخري " الهدف الأول هو إدماج المقبرة الجنوبية (رمز القبر التذكاري للملك بأبيدوس) مع المقبرة الملكية الشمالية (رمز مقبرة منف) في مجمع واحد ... أما الهدف الثاني الذي كان يرمي إليه إيمحتب فهو ابتداع أثر لزوسر يحاكي الجدران البيضاء أي مدينة منف التي أنشأها الملك مينا منذ أربعة قرون ، وداخل الجدران الخارجية المبنية من الحجر الجيري بني مجمعاً ملكياً يضم قصوراً وأضرحة ملكية وقاعات للاحتفالات " (ألدريد، 1993، صفحة 75) وقد استمر بناء المقابر الملكية خلال فترة الأسرة الثالثة بالحجر ، وفي شكل هرم مدرج ، ومن ذلك مقبرة الملك سخم خت التي كشف عنها في جنوب غربي هرم زوسر (Goneim, Die verschollene Pyramide, 1955) (Goneim Z. , 1957) ، وهي عبارة عن مصطبتين أمكن التعرف علي أركانها الأربعة ، وقد نحت المدخل في الجهة الشمالية من المعبد الجنائزي ، ويتم الوصول إليه من خلال ممر طويل منحوت في الصخر وشديد الانحدار ينحرف جهة الشرق، وينتهي بغرفة يتوسطها تابوت من المرمر ، طراز التابوت نادر ، حيث يغلق بقطعة تنزلق من الأسفل للأعلي ، إلا أنه وجد فارغاً تماماً ، ولو قدر لهذا الهرم أن يكتمل لكان أكبر من هرم زوسر (Goneim Z. , 1956) ، وقد اختلفت النظريات حول سبب دفنه في الرمال وعدم إكتماله (فيرنر، 5005، الصفحات 184-187).

المقابر الملكية بالأسرة الرابعة:

أسس الملك سنفرو الأسرة الرابعة، وتزوج الملكة حتب حرس وأنجب منها الملك خوفو، وقد له معماريوه مقبرتين هرميتين تعد من أهم الخطوات للوصول لشكل الهرم الكامل؛ الأول في ميدوم في الشمال بمدخل الفيوم والثاني بدهشور جنوب سقارة، ويطلق على عصر الأسرة الرابعة بعصر بناة الأهرام الكبرى، وتعكس العمارة والفنون في تلك الفترة مدى الاتقان والروعة الذي بلغته الحضارة المصرية القديمة.

هرم ميدوم:

أكمل سنفرو هرم حوني وهو إلي الشمال من هرم دهشور ، علي بعد لا يقل عن 2 كيلو متر، يعتبر هرم ميدوم أول هرم حقيقي في تاريخ العمارة المصرية القديمة ، تبلغ مساحة قاعدته 20880 مترا مربعاً ، وارتفاعه 99 متراً ، لوحة (2، أ ، ب) ، " وقد بناه في اول الأمر كهرم مدرج ثم قام بتعديله ليأخذ شكل الهرم الكامل "(KUIPER, 2010, p. 49) حيث غلف بطبقه من الحجر ، وأصبحت جوانبه مسطحة ومنبسطة وحجرة الدفن لم تنحت في الصخر ولكنها صممت في منتصف الهرم ، ويطلق عليه الهرم الأحمر ربما لأن الأحجار التي بني بها تميل إلي الحمرة ، كما أن جوانبه تتجه نحو الجهات الأصلية الأربعة ، ومدخل غرفة الدفن تقع في الجهة الشمالية في مواجهة النجوم القطبية ، أما المعبد الجنائزي الخاص به فتم إنشاؤه في إتجاه الشرق .

ولا شك أن " هرم ميدوم هو حلقة الاتصال بين الهرم المدرج والهرم الأملس السطح في شكله الكامل ، وكان المهندسون المعماريون في عصر سنفرو قد سيطروا علي مسألة السطح المائل الأملس وأجادوا ، ولكنهم كانوا لايزالون مقيدين بالتقليد الخاص بالدرجات ، فمزجوا بين الشكلين معاً ، ولم ينشأ الشكل الهرمي الكامل إلا ابتداء من الأسرة الرابعة ، وفي هذا العصر قد حلت مسألتين أخريان ، احدهما اقتلاع الكتل الكبيرة من الأحجار بخبرة ومهارة ، والأخري معالجة هذه الكتل معالجة خبرة واتقان " (مرى، 1998، صفحة 2013)، ومما يؤكد أن مقبرة سنفرو التي دفن بها كانت في الهرم الجنوبي ، ذلك الاهتمام بكل عناصره الجنائزية من معبد جنائزي وطريق صاعد موصل للمعبد كما أن تصميم المعبد الجنائزي يدل علي أن الكهنة كانوا يؤدون المناسك الجنائزية ووجوههم إلي الغرب نحو عالم الموتي حيث يرقد الملك المتوفي.

هرم دهشور المنحني:

أقام الملك سنفرو هرمه المنحني في دهشور، لوحة (3، أ ، ب) ، يبلغ إرتفاعه 101 متر ، وهو عبارة عن قاعدة ضخمة عالية بنيت جوانبها بزاوية 54 درجة ، فوق هذه القاعدة بني القسم الثاني بزاوية قدرها 43 درجة ومسقطه الأفقي مربع ، ونتج عن تغيير الزاوية ذلك الهرم المنكسر الأضلاع ، وبالتالي فهو الهرم الوحيد بزاويتين (REISNER . G. A., 1936, p. 197) .

الهرم الأكبر:

تولي خوفو بعد موت أبيه سنفرو ، وللأسف لا نعرف كافة الأحداث التي حدثت في عهده ، وبينما يقول مانيتون أنه حكم 63 سنة تقول بردية تورين أنه حكم 22 سنة وعلي أية حال فقد حكم خوفو أكثر من عشرين عاما بني خلالها

هرمه الشهير لكي يكون مقبرة له، لوحة (4، أ ، ب) يقع الهرم الأكبر للملك خوفو علي هضبة مرتفعة غربي الجيزة بمساحة حوالي 13 فداناً ومربع ضلعه 227م ، وارتفاعه 146.7 متر، وقد أقيم الهرم بحيث تتجه واجهاته إلي الجهات الأصلية الأربعة ، وكان من الدقة بحيث راعي المصري القديم في إنشاءه أن الاتجاه الشمالي يوافق الشمال المغناطيسي تماما .

ويقع المدخل الرئيسي في الجهة الشمالية للهرم علي ارتفاع 20 متراً عن مستوي الهضبة ومواجها للنجم القطبي ، ومن المحتمل أنه كان يعلوه هريم صغير من الجرانيت ، وقد كان يكسو الهرم من الخارج طبقة من الحجر الجيري الأبيض ، بحيث يصبح شبه أملس إلا أنه لم يبق من هذه الكسوة إلا بقايا عند قاعدة الهرم الشمالية والجنوبية والغربية وتوجد فتحة أسفل المدخل الرئيسي سميت بمدخل المأمون ، فتحت في عهد الخليفة المأمون عندما كان يبحث عن كنوز الهرم حينما زار مصر في القرن التاسع الميلادي . والغرفة الجنائزية المسماة غرفة الملك تتجه من الشرق إلي الغرب ، ومبطنة تماماً بأحجار جرانيتية مصقولة لونها وردي ، ومسقوفة ببلاطات أفقية ، وأعلي هذا السقف يوجد ابتكار معماري فريد حيث أنشأ المهندسون أربعة أسقف أفقية متطابقة تضم فراغات خالية بينها ، ومما يؤكد الدور الوظيفي أن سقف الحجرة الخامسة وهي الأخيرة جمالوني مما يساعد علي توزيع الحمل والضغط المتجه من أعلي إلي أسفل . وتقع غرفة الملك علي ارتفاع 42.28 متر فوق سطح الأرض ، وطولها نحو عشرة أمتار ونصف وعرضها خمسة أمتار وربع تقريباً وارتفاعها 5.82 من المتر ، وقد وجد بسقف حجرة الملك بعض كتابات ونقوش عمال الهرم ورد فيها ذكر العام 17من حكم الملك خوفو ، وهذا هو الذكر الوحيد للملك خوفو في هذا الهرم ويذكر هيرودوت أن 100 ألف عامل قاموا بالمشاركة في بناء الهرم ولمدة عشرين عاماً ، كانوا يقومون بالعمل في البناء في أشهر الفيضان الثلاثة التي يصعب فيها ممارسة الزراعة . كما عثر علي تابوت الملك بجانب الجدار الغربي ، وهو من قطعة واحدة من حجر الجرانيت ويخلو من أي زخرف.

وقد قام المعماريون المصريون القدماء ببناء الهرم وملحقاته ابتداء من قطع الأحجار بالمحاجر، ونقلها إلي موقع الهرم، ثم نحتها ورفعها وتثبيتها في مواقعها، معتمدين علي المجهود البشري فقط ، وبمساعدة بعض الأدوات البرونزية البسيطة للقطع والتشكيل والصقل ، وهو ما يدلل علي عبقرية ومهارة نادرة.

ومن بعد الملك خوفو نجد أن مجموعة الملك خفرع الهرمية من أعظم النماذج للمقابر الملكية في الدولة القديمة ، والسبب في هذا أن عناصرها الأربعة المكونة من الهرم والمعبد الجنائزي ومعبد الوادي والطريق الصاعد الموصل بينها لازالت إلي حد ما باقية لتؤكد عظمة الفنان المصري القديم في تلك الفترة ، لوحة (5، أ ، ب) .

وكان ارتفاع هرم خفرع 143.5 متراً وقد أقيم علي مساحة مربعة طول ضلعها 215.5 متر ، كما وجد أن الهرم يتبعه من الجهة الشرقية معبد جنائزي ، تقام فيه الصلوات علي روح الملك وتقدم القرابين ، ولما كانت الأهرامات تقام علي ربوة عالية في الصحراء ، فللوصول إليها كان يشيد علي حافة المزارع المجاورة للصحراء معبداً آخر يسمي معبد الوادي وكان الناس يستقلون مراكبهم عبر قناة مائية وينزلون من هذه المراكب في معبد الوادي ، ليتطهروا ويغتسلوا ، ثم يسلكون طريق طويل مسقوف ومغطي ومظلم إلا من بعض فتحات التهوية البسيطة ، ليخرجوا إلي الشمس فجأة وسط المعبد الجنائزي بالجهة الشرقية من الهرم وليقوموا بالطقوس الجنائزية ويقدمون القرابين لإله الشمس رع ، بشكل تغلب عليه الدراما

المسرحية ، بما يساهم في تأثرهم بشكل إيحائي. ومن بعد الملك منكاورع تنتهي حقبة تشييد الأهرامات الضخمة، واتجه الملوك إلى الاهتمام بتشييد المباني الجنائزية وملحقاتها.

مقبرة شبسكاف (مصطبة فرعون):

تولي شبسكاف الحكم بعد ابيه الملك منكاورع ، وقد أكمل مجموعة أبيه الهرمية ، ولا نعرف السبب المؤكد وراء عودة المعماريين لشكل المصطبة مرة اخري حيث " بني شبسكاف مصطبة تذكارية في جنوب سقارة ، ولذلك يعتبر الملك الوحيد بالدولة القديمة الذي لم يبن مقبرته علي هيئة الهرم (KUIPER, 2010, p. 49) ، لوحة (6 ، أ) ، كانت عبارة عن تابوت ضخم مستطيل (100 x 75 متر وارتفاع 18 متراً) ، بناها من الحجر الرملي المحلي الأحمر كما هو الحال في الهرم الأحمر. تبقى فقط آثار ضئيلة من الكسوة الخارجية اليوم ، ويتم الدخول الي المصطبة من الجانب الشمالي، حيث ينحدر هناك ممر طوله 20.95 متر مع زاويه 23 ° 30 '. في نهاية الممر هناك ممر أفقي اخر تليها الغرفه الثانيه التي يتم سدها من قبل ثلاثة احجار ضخمه. ومن ثم ممر قصيرة إلى الغرب ينقلنا الى غرفة الدفن المقببة التي بقياس 7.79 الي 3.85 متر ويبلغ ارتفاعه 4.9 متر .وتكتسي المصطبة من الأسفل بحجر الجرانيت ومن الأعلى بالحجر الجيري ، وقد تم ترميمها علي هيئة كتلة مستطيلة ذات جوانب مائلة بزاوية (65ْ) ، ويرتفع الجانبان الصغيران علي هيئة جدران ذات طرف – حول السقف ذي العقد المسطح ، أما الجزء السفلي للمقبرة فقد كسيت الغرف الداخلية بالجرانيت تماماً ، في مداميك بارتفاع ذراع واحد ، وممر المدخل الذي يهبط بزاوية (23).

مقابر ملوك نهاية الدولة القديمة:

بضعف الجانب الاقتصادي للسلطة المركزية في نهايات الدولة القديمة ، أثر ذلك علي رعاية الفن والفنانين ، كما أثر أيضاً بالسلب علي تشييد المقابر الملكية ، لذلك نري أهرامات ملوك الاسرة الخامسة حجمها أصغر ، حتي أن بعضها لا يزيد ارتفاعه عن تسعة أمتار ، كما لا تتمتع بنفس دقة وقوة اهرامات الاسرة الرابعة ، واستخدم الركام في بنائها وأحجار وخامات متنوعة ولكن من نوع أردأ مما استخدم سابقا بالأسرة الرابعة ، مما جعلها شبيهة بالتلال المخروطية ، كهرمي (أوسركاف وساحورع) ، إلا أن مجموعاتهم الهرمية ضمت عناصر جديدة ، حيث أن " المدخل يسد بعد الدفن بكتلة كبيرة من حجر الجرانيت ، ويؤدي المدخل إلي دهليز يساعد في إنزال التابوت والمتاريس التي كانت تسد الطريق إلي غرفة الدفن ، ويفضي الدهليز الهابط إلي دهليز مستقيم ينتهي بغرفة الدفن أو بردهة تقع علي يمينها ، أي في الغرب منها ، غرفة الدفن ، لسد الطريق إلي غرفة التابوت ، ويظن أن الغرض من الردهة هو تمكين حملة التابوت من الاستدارة به لإدخاله في غرفة الدفن ، وسقف الردهة وغرفة الدفن أحدب ، ويتكون عادة من ثلاث طبقات من كتل ضخمة من الحجر الجيري ، كل طبقة وراء الأخرى ، وأحجار الطبقة الخلفية أطول الأحجار ، وهي بذلك تخفف ثقل البناء عن غرفة الدفن بنقله إلي الجوانب " (شكري، 1970، صفحة 340) .

هرم أوناس :

يعتبر بعض العلماء أوناس آخر ملوك الأسرة الخامسة وبعضهم يعتبره أول ملوك الأسرة السادسة ، ولقد حكم الملك أوناس ثلاثين عاما . وقدأقام هرمه جنوب غرب هرم زوسر المدرج ، لوحة (7 ، أ ، ب) ، و" بالرغم من أن هرم أوناس يعتبر أصغر الأهرامات الملكية (الجانب 6 , 57 من المتر , الارتفاع 40 مترا) فإنه هام من الناحية المعمارية ،

لأن ملوك الأسرة السادسة تيتي الأول ، ومرن رع ، وببيي الثاني استعملوا تخطيط حجراته الداخلية نموذجاً ولكن باختلاف في المقاسات " . (بدوي، 1988، صفحة 302)

ومن أهم ما يميز هذا الهرم أنه يعتبر خاتمة لتطور المقبرة الملكية في الدولة القديمة ، فبينما كانت غرف الدفن لدي أسلاف أوناس خالية من النقوش ، نري أن الفنان أبدع في تزيين سقف غرفة الدفن بهذا الهرم بالنجوم ، كما صور علي جدرانه مجموعة من التعاويذ المختلفة تعرف بمتون الأهرام ، بشكل يجعلها منسجمة ومتكاملة مع العناصر المعمارية بالهرم ، ومن المحتمل أن يكون ذلك التحول الفني في التشكيل داخل الهرم له علاقة ببعض التغيرات في أفكار الملك ولدي الكهنة آنذاك ، وهذه المتون نشأت في النصف الثاني للدولة القديمة وبدأ تسجيلها في باطن الأهرام ، وهى من الأدب الجنائزى الذي يتداخل معه السحر بشكل كبير وهي عبارة عن أوراد جرت العادة بتلاوتها عند إعداد الجثة ودفنها ، وعند إطعام الميت وتقديم العطايا إليه ، وعندما تراد حمايته من كل سوء بالدعاء والسحر كما أن " متون الأهرامات توضح أهمية اوزوريس ، كما ترشد إلي المراسم اللازمة لعبور الملك للعالم الآخر " (KUIPER, 2010, p. 49) ، كما " تعني بسلامته العامة في مواجهة الأخطار والمفاجآت التي يتعرض لها في العالم الآخر ، وتحقق رجاء المتوفي في أن يتواجد بين الآلهة في ذلك العالم ويتحول إلي إله أعلي " . (هورنونج، 2002، صفحة 50)

" تمتاز غرفة الدفن في هرم اوناس بأن جدارها الغربي ونصف جداريها الشمالي والجنوبي ، وهي الأجزاء من الجدران المحيطة بالتابوت ، من المرمر المصري تحليه واجهة القصر والباب الوهمي ، ولهذا ما يماثله أيضاً في غرفة الدفن في هرم ببي الثاني ، ومنذ أوناس أصبح سقف غرفة الدفن وأحياناً سقف الردهة أيضاً يحلي بنجوم ذات خمسة أشعة بلون أبيض أو أصفر في قاعدة زرقاء ، كما أصبح يضاف إلي يسار الردهة قاعة منخفضة ذات ثلاث مشكاوات يظن أنه كانت تحفظ فيها بعض التماثيل " (شكري، 1970، صفحة 340)

وبنهاية الدولة القديمة دخلت مصر عصر الاضطراب الأول ، وقد تفتت فيه مصر إلي أقاليم منفصلة " وقد تم تحديد القليل من المقابر التي ترجع لتلك الفترة ، وتعود لبعض الحكام المحليين في مصر الوسطي ، وقد تم بناءها بالطوب وقد كانت مبنيه علي هيئة المصطبة " (Arnold, Di., 1974, p. 81) .

مقابر الملوك في الدولة الوسطي:

تميزت الأسرة التاسعة بشيء من الهدوء ثم ما لبثت إن أشتد النزاع بين حكام طيبة وحكام أهناسيا (قرب الفيوم) وكانت أهناسيا العاصمة آنذاك ، وبإنتصار حكام طيبة بسطوا نفوذ الأسرة الحادية عشرة التي كانت تحكم الصعيد علي باقي البلاد ، وقد تم ذلك علي يد الملك منتوحتب (نب حبت رع) الذي أستطاع التغلب علي أهناسيا بعد كفاح دام 20 عاما ، وقد بدأت بذلك مرحلة جديدة من حكمه تميزت بالطمأنينة والإستقرار في البلاد ، ويعتبر هذا التوحيد إيذاناً بقيام الدولة الوسطي التي إستمرت خلال الاسرتين الحادية عشر والثانية عشرة.

دفن ملوك طيبة في أوائل الدولة الوسطي في أماكن متعددة ، فمقبرة الملك منوحتب الثاني من الأسرة الحادية عشرة أقيمت بالدير البحري بجوار معبده الجنائزي ، أما ملوك الأسرة الثانية عشرة فقد أقاموا مقابرهم في اللشت وهواره ودهشور واللاهون ، وجميعها بجوار المركز المتوسط للمملكة المتحدة .

اختار منتوحتب حضن جبل من جبال طيبة الغربية ليشيد لنفسه فيه مقبرة ذات طراز جديد تماماً ، لوحة (8 ، أ ، ب) لم يتبق من هذه المقبرة إلا أطلالها ، إلا أنها تعتبر مرحلة مهمة من مراحل تطور المقبرة الملكية ، ، وهي الموجودة إلي الجنوب من معبد حتشبسوت بالدير البحري ، وهي قبر معبدي علي مستويين ، تبدأ المقبرة بطريق صاعد ، علي جانبيه مكان كان مخصص لأشجار الأثل والجميز ، يبلغ طول الطريق 1000 متر وعرضه 46 مترا ، ومسور بأحجار من الحجر الجيري يبلغ ارتفاعها 3.15 مترا ، وقد أقيمت علي جانبيه تماثيل من الحجر الرملي تمثل الملك واقفا في صورة أوزيرية . عمل في هذه المقبرة صفوة ذلك العصر من الفنانين (معماريين ، ومثالين ، ومصورين) حيث كانت طيبة في ذلك العصر منبعاً لإلهام الفنانين ، وقد أقاموا المقبرة أمام الأطناف الضخمة التي ترتفع علي هيئة جبل متدرج ، وزودوها بقاعات تحتوي علي أعمدة رائعة وممرات ذات عمد بشكل إبداعي فريد ، كما أنشأوا تحت الأرض دهليزين يؤكدان الثنائية القديمة للمقبرة الملكية ولكن في شكل جديد ، كما أن الممر الخلفي الموصل إلي المقبرة قد تم تزيينه بمجموعة كبيرة من الزخارف بما في ذلك الأنشطة العسكرية والصيد في الصحراء للملك في حضرة الآلهة ، وكذلك مناظر الاحتفال بعيد الحب سد ، ومن الناحية المعمارية لا نستطيع فصل المقبرة عن المعبد حيث تجلت عبقرية المعماري في إيجاد حالة من التجانس والتكامل في تشكيلهما ، وقد اتخذت المقبرة " شكل حرف T مقلوب بحيث يتجه رأسه إلي الشرق ، أما الجذع فقد نقر في واجهة الجبل ، وأقيم المعبد فوق قاعدة كسيت واجهتها بالحجر الجيري الجيد ليسهل النحت والرسم عليها ، ويتقدم هذه القاعدة من الشرق صفة محمولة علي صفين من الاعمدة ، يتوسطها الاحدور الصاعد الموصل إلي المسطح الثاني " . (توفيق، 1990، صفحة 199) ، " إلا أن الجزء الأهم والأبرز في هذا الجزء العلوي يعتقد أنه كان يعلوه مصطبة مربعة أو قمة هرمية " (Polz, 2007, pp. 200–11) ، لوحة (8 ، ج) وبذلك يمكننا القول بأن هذه المقبرة جمعت بين أسلوب المقابر الصخرية ، وبين الطراز الهرمي الموجود منذ الدولة القديمة .

وعلي نفس طراز المقبرة الصخرية الملحقة بالمعبد الجنائزي لمنتوحتب اتجه حكام الأقاليم والأشراف بالدولة الوسطي – الذين قوي شأنهم في ذلك الوقت – إلي نحت المقابر في سفوح الصخور القريبة من أقاليمهم ، مثل مقابر البرشا وأسيوط وأسوان وبني حسن بما حوته تلك المقابر من أعمال فنية وتصاوير جدارية غاية في الروعة والإتقان ، ومنها ما يؤصل لكل أنواع الرياضات الحالية ، وترتفع سقوف القاعات بهذه المقابر علي أعمدة شبيهة بأعمدة الطراز الدوري ، بما يؤكد سبق للفنان والمعماري المصري القديم علي الفنانين ببلاد الإغريق ، وتنتهي المقبرة بكوة يوضع بها التماثيل الجنائزية . ويعتبر إريك هورننج أن هذه المرحلة هي المرحلة الثالثة لتطور المقبرة الملكية (حوالي 1500 – 1100 ق.م.) وهي مرحلة المقابر المنحوتة في الصخر (هورنونج، 2002، صفحة 50).

اتجه أيضاً ملوك الدولة الوسطي بعد ذلك إلي بناء اهرامات صغيرة وقد" سلكت الدولة الوسطي في بناء الأهرامات مسلك أواخر الدولة القديمة الذين استبدلوا بالحجارة اللبن المغطى بطبقة من الحجر الجيري للقصد في التكاليف ، غير أن أحجار الأهرامات أخذت تتضاءل كثيراً.. وأخذت الأهرامات الصغيرة تحل محل المصاطب التي اختفت بالتدريج " (عكاشة، 1990، صفحة 405)

ومن أشهر تلك الأهرامات بالأسرة الثانية عشرة أهرامات اللشت ، وهي إحدي قري مركز العياط بمحافظة الجيزة ، التي اتخذت عاصمة لمصر بداية عصر الدولة الوسطي ، أنشأ بها الملك أمنمحات الأول مجموعته الهرمية " وهناك اعتقاد بأن امنمحات ربما قد بني هرم له في سقارة ، ولكن لا يوجد ما يؤكد ذلك ، إلا أن المؤكد أنه قد بني مجموعة

هرمية في اللشت ، وتتسم نوعية هذا الحجر بالرداءة ، كما استخدمت في بنائها كتل حجرية تم تفكيكها من انشاءات بالدولة القديمة ، وقد تعرضت هذه المجموعة للتلف بشكل كبير لوحة (9، أ ، ب) ، و قام ابنه سنوسرت الاول الذي تولى الحكم من بعده بانشاء مجموعته الهرمية إلي الجنوب من هرم والده وقد تكونت مجموعته من معبد الوادي والطريق الصاعد ومعبد جنائزي بالإضافة الى هرمه ودفن بجواره كبار رجال الدولة فى ذلك الوقت " (Arnold, Di., 1988, pp. 70–71) لوحة (10، أ ، ب) ، وبالأسرة الثانية عشرة أيضاً قام الملك سنوسرت الثاني ببناء هرمه في اللاهون – بالقرب من الفيوم – فوق ربوة مرتفعة " لوحة (11، أ ، ب) ، ويتميز هذا الهرم بأنه تم فيه وللمرة الأولي منذ نهاية الأسرة الثالثة استخدام الطوب اللبن في بناء مقبرة ملكية " (Porter, 1934, pp. 107–9) ، أما سنوسرت الثالث فقد " بني مجمعين جنائزيين أحدهما في دهشور والآخر في أبيدوس ، بني الأول علي الشكل الهرمي واستخدم في بناءه الطوب " (Arnold, 2002) ثم تم حشو الفراغات بالرمال ، كما قام إمنمحات الثالث ببناء هرم هوارة ويحتوي الهرم على دهاليز وحجرات كثيرة ، تنتهي بحجرة الدفن . وجد بها تابوتا حجريا ضخما من قطعة واحدة من حجر الكوارتزيت وباب الغرفة كان مغلقا بحجر ضخم لم يستطع اللصوص دخول حجرة التابوت من هذا الباب و لكن تمكنوا من الوصول إليها عن طريق فتحة في السقف ، ونهبوها وحرقوا مافيها من أثاث جنائزى " وفي بعض الأحيان كان يحاط القبر الهرمي بسور أو سياج لإعطاء شيء من الخصوصية والاحترام للقبر حتى مع عدم وجود معبد جنائزي " (CHIPIEZ, 1883, p. 255) لوحة (12، أ ، ب) .

ومن الملاحظ أنه بعد أن أعاد أمنمحات الأول المقر الملكي إلي الشمال ، إلتزم الفنانون آنذاك عن عمد بالتقاليد الفنية للأسرة السادسة كما " تبدو في مجموعة هرم بيبي الثاني ، فإن مباني المقبرة الجديدة هي صورة طبق الأصل من الحرم الهرمي في أواخر الدولة القديمة مع تعديلات طفيفة ، وأهم ما نلاحظه هنا عدم وجود نقوش في الغرف الداخلية ، فقد تم التخلي عن نصوص الأهرام كي يتاح استخدامها لعامة الناس ، وبعد أن دخلت عليها تغييرات كثيرة عادت للظهور علي التوابيت الخشبية للمسئولين وأسرهم في شكل نصوص التوابيت " . (هورنونج، 2002، صفحة 50)

مرحلة مقابر وادي الملوك في الدولة الحديثة:

بعد تحرير مصر من الهكسوس علي يد الملك أحمس ، أسس الأسرة الثامنة عشرة ، ورسخ لمرحلة جديدة من تاريخ مصر ، وبالرغم من " العثور علي مجمع جنائزي يخص الملك أحمس بمنطقة أبيدوس ، إلا أن مكان دفنه كان موضع نقاش، ولم يتم تحديد قبره الحقيقي والذي يعتقد أنه موجود بطيبة " (Harvey, 2008, pp. 143–55) ، وذلك نظراً لظهور طراز جديد عرف بالمقابر هي " المقابر المعبدية Temenos (بعد 1100 ق.م.) ظهر في منطقة طيبة ، ويعتبر ذلك الطراز هو المرحلة الرابعة والأخيرة من مراحل بناء المقابر الملكية " . (هورنونج، 2002، صفحة 50) ومن المعروف أننا " لم نستطع معرفة التقاليد الجنائزية لبناء المقابر خلال فترة حكم الهكسوس ، أو فترة ملوك الكهنة أو حكام الأقاليم (CHIPIEZ, 1883, p. 255) ، إلا أنه ببداية عصر الدولة الحديثة " اختلفت نظرية الملوك في تشييد مقابرهم ، بعد أن عاصروا سرقة محتوياتها فالهرم في الدولة القديمة بضخامته ملفت للأنظار ودليل مادي ملموس علي القبر الملكي ، ولم يحقق الغرض الذي شيد من أجله وهو وقاية جثمان الملك والحفاظ علي كل ما يودع فيه ، من ذخائر ونفائس ، من عبس لصوص المقابر ، أما ملوك الدولة الوسطي فقد شيد بعضهم أهراماً صغيرة نسبياً الا أنهم تلمسوا الأمان عن طريق

تعقيدات الممرات الداخلية الموصلة الي حجرة الدفن داخل الهرم ، ولم تنجح هذه الطريقة أيضاً في حماية جثمان الملك وما بداخل الهرم من أثاث جنازي من عبث لصوص المقابر

أصبح واضحاً لملوك الأسرة الثامنة عشرة أن الطريقتين السابقتين لم تمنعا اللصوص من محاولة سرقة مقابر الفراعنة ، ولهذا كان من الضروري البحث عن طريقة أخري ، علي أمل أن يحفظ جثمان الملك أو الملكة في مكان أمين بعيداً عن اللصوص في بيته الأبدي . ولهذا لجأ ملوك الأسرة الثامنة عشرة وخلفاؤهم من بعدهم إلي نقر مقابرهم في تكتم شديد في صخر الجبل مخفية وراء الهضاب في واد طيبة الغربية ، اصطلح علي تسميته بوادي الملوك ، وكان الوادي في ذلك الوقت منطقة لا يطرقها انسان أو حيوان ، جدباء ، ليس بها ماء ولا نبات ، بمعني آخر تعتبر أحسن مكان لإخفاء المقبرة . " (توفيق، 1990، صفحة 261)، لوحة (13، أ) ، وحيث أن وادي الملوك شديد القسوة ، وطرق الوصول إليه وعره ، منعزل عن الحياه حول وادي النيل ، رشحته تلك العزلة ليكون المكان المثالي لإخفاء المقابر الملكية ، بعد أن رأوا بأعينهم كيف أخفقت كل الوسائل للمحافظة علي المقابر في العصور السابقة ، وبالتالي اتجه ملوك الاسرة الثامنة عشرة إلي إخفاء الجزء المخصص لدفن الجثمان الملكي في مكان غير معروف مهجور ، لذا رؤي فصل الجزء المخصص لإقامة الشعائر الجنائزية التي تفيد المتوفي وتشييده في مكان آخر ، حيث كان بروز المقبرة الملكية وقيام المعبد الجنازي بالقرب منها كانا يدلان علي مكان الجثة وذخائرها ، لذلك " اتخذ تحتمس الأول خطوة جريئة بأن أقام مقبرته في أعمق الفجوات في وادي الملوك خلف سلسلة من التلال الجبلية " (Polz, 2007, pp. 211-29)، وقد تم ذلك في سرية تامة ، ونفهم ذلك من " النص المنقوش علي لوحة المهندس (أنيني) والمحفوظة في مقبرته بمنطقة شيخ عبدالقرنة في البر الغربي بطيبة ، يقول النص (لقد أشرفت علي حفر المقبرة الصخرية لجلالته بمفردي ، لا أحد رأي ولا أحد سمع) " (توفيق، 1990، صفحة 264)، والمقبرة التي يفاخر أنيني بها مثال متواضع جداً من المقابر الملكية المنحوتة في الصخر، رغم أن ما تنبأ به قد تحقق ، فقد قام الملوك فيما بعد بتقليد ما فعله ، وكانت القاعدة العامة في المقابر الأولي هي إخفاء مداخلها ، والاكتفاء بنقش الحجرات الداخلية ، وعمل توابيت أصغر حجماً من التوابيت المتأخرة .

ومقبرة تحتمس الأول ، لوحة (13، ب) تبدأ " بمدخل صغير يوصل إلي درج يهبط إلي احدور يوصل الي حجرة مربعة تقريباً ، ويهبط من منتصفها تقريباً سلم الي حجرة الدفن ، وهي حجرة خشنة الصنع ، وقد نحتت علي شكل الخرطوش الملكي ربما لكي يكون جسد الملك داخل الخرطوش دائماً أبداً ، بعد أن كان اسمه بداخله طوال فترة اعتلاءه عرش مصر ، ويعتقد هورنونج Hornung أن الشكل البيضاوي قد يمثل الساعة الأخيرة من كتاب ما هو موجود في العالم الآخر ويسند سقف هذه الحجرة عمود واحد (اختفي الأن) ، كما توجد حجرة صغيرة جانبية في جنوب حجرة الدفن . كما كان يوجد في نهاية حجرة الدفن تابوت من حجر الكوارتزيت (وهو الحجر الرملي المتبلور) " (توفيق، 1990، صفحة 269).

وبالرغم من أن المقبرة قد دمرت ولم يتبق بها إلا شظايا ، إلا أننا نستطيع تمييز كساءها بالجص ، كما نحت علي جدرانها نص جنائزي جديد مكتوب بالعلامات الهيروغليفية المتصلة ، والمناظر بأشكال تخطيطية، ومن الملاحظ أن الأدب الجنائزي المسجل بالجدران مختلف تماماً عن النقوش التي تزين المقابر الملكية بالدولة القديمة ، أو المقابر الصخرية بالدولة الوسطي ، وقد كان من المعتاد تصوير مناظر الحياة اليومية من مناظر للورش والرعي والفلاحين ، وكذلك مناظر الصيد بما يضمن للمتوفي الاستمرار والتجدد في العالم الآخر ، ومروراً بمرحلة متون الأهرام والتوابيت التي

سجلت كل أنواع التعاويذ لحماية المتوفي بالعالم الآخر ، إلا أن هذا النوع الأخير من الأدب الجنائزي تطور تماماً بمقابر الدولة الحديثة بوادي الملوك ، ليظهر نوع جديد من النصوص الجنائزية ، أكثر اتقاناً مأخوذة من كتاب الموتى وما علي شاكلته مثل الكتاب الخاص بالشيء (أو الشخص) الموجود في العالم الآخر ، وكتاب الأبواب ، ورحلة الشمس في العالم الآخر ، بينما كان يستعان لزيادة الضمان بكتابين من كتب السحر ، هما صلوات رع وكتاب فتح الفم ، والمناظر الموجودة علي جدران المقابر الملكية تكاد تنحصر جميعها في رسوم تمثل الحوادث الواردة في هذه الكتب وقد انصب كل اهتمام الفرعون آنذاك في أن يضمن مروراً آمناً من طرق وبوابات وكهوف العالم الآخر ، وأن ينعم بمرافقة الإله رع في قاربه بصحبة الموتى المباركين . وللتأكيد علي السرية في إنشاء مقابر تلك المنطقة أقيمت قرية دير المدينة في عصر الأسرة الثامنة عشرة (1554 – 1305 ق.م) لإقامة الفنانين والمعنيين بإنشاء وتشييد المقابر الملكية بجبانة طيبة ، بحيث يكونوا معزولين عن بقية أطياف المجتمع المصري آنذاك.

" ولدينا من عهد رمسيس الثاني وخلفائه ثروة من الأدلة على هيئة قطع من اللخاف والبردي واللوحات ونقوش المقابر كما نعرف أسماء العمال وزوجاتهم وأطفالهم بل ويمكننا تحديد منزل كل عائلة على حدى، وبوسعنا من خلال هذه المصادر تكوين صورة دقيقة الملامح لأهل دير المدينة، في حياتهم وعند موتهم " (بيربراير، 1993، صفحة 45)، فبالإضافة إلى أنها كانت شبه منعزلة جغرافياً ، وكانت كذلك من الناحية السكانية. فقد تبوأ قاطنوها من الفنانين مكانة أفضل من تلك التي كانت لمتوسطي الحال من الفلاحين، وإن لم ترق بالضرورة إلى مستوى مكانة الطبقة الارستقراطية المترفة، إلا أنهم حصلوا على مرتبات عالية على هيئة بضائع وخدمات مقابل عملهم، " كما خصصت للعمال أيضاً خادمات كن من الإماء ممن تملكهم الحكومة المركزية. (بيربراير، 1993، صفحة 45) .

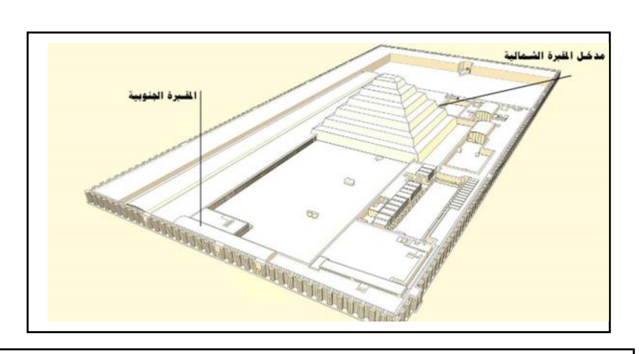
النتائج:

- بدأت المقبرة علي شكل حفرة بيضاوية سجي فيها المتوفي بوضع القرفصاء وغطي بالحصير والجلود رغبة في الحفاظ علي الجثة ، ثم أصبحت حجرة مربعة . ثم تم عمل ربوه من الرمل والحصي فوقها ، ثم تعددت الحجرات وبعد ذلك تحولت إلي مصطبة ثم إلي هرم مدرج ثم إلي هرم كامل في الدولة القديمة ، ثم اتجه ملوك وحكام الدولة الوسطي إلي نقر مقابرهم في صخر الجبل كما اتجه بعضهم لإقامة مقابر علي شكل أهرامات صغيرة إلي أن أتي تحتمس الأول بالأسرة الثامنة عشرة فحفر مقبرته بالصخر خلف هضاب واد طيبة الغربية (وادي الملوك) في تكتم شديد وقد لجأ إلي فصل المعبد الجنائزي عن المقبرة حتى لا يعرف اللصوص طريقها.

- لعبت فكرة البعث والخلود أهمية كبري في توجيه اهتمام المصري القديم نحو تطوير المقبرة الملكية بشكل دائم والحفاظ علي محتوياتها ، وقد اختلفت نظرية الملوك في تشييد مقابرهم ، بعد أن عاصروا سرقة محتويات الهرم في الدولة القديمة ، فرغم ضخامته لم يحقق الهدف المنشود من إقامته ، كما أن تعقيدات الممرات الداخلية الموصلة لحجرة الدفن بأهرامات الدولة الوسطي لم تنجح أيضاً في الحفاظ علي جثمان الملك ومحتويات المقبرة ، ولهذا كان من الضروري البحث عن وسائل أخري لحماية المقبرة .
- كان الفنان المصري القديم دائم التطوير في شكل المقبرة إلا أن فكرة التل الأزلي الذي بدأ الإله من فوقه خلق الكون وعليه سيتم البعث مرة أخري كانت مسيطرة علي الفنان في تحديد شكل المقبرة الملكية.

- كان للحالة الاقتصادية والسياسية والفكر الديني السائد أثر كبير في حجم وشكل المقبرة الملكية وفي الخامات المستخدمة في إنشائها.
- لا نستطيع فصل المقبرة عن محيطها المعماري من معابد ومباني ملحقة وعناصر فنية تتكامل معها كالنحت والتصوير ، كما أن كل تلك العناصر تدور حول هدف محوري واحد هو خدمة الفكر الديني الجنائزي .

لوحة (1)

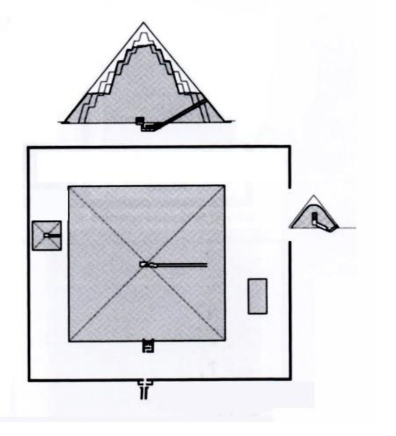


(أ) مجموعة زوسر المعمارية بسقارة ويظهر بها المقبرة الجنوبية وموقع مدخل الهرم – الأسرة الثالثة بالدولة القديمة (https://en.wikipedia.org/wiki)



(ب) هرم زوسر المدرج – سقارة (https://en.wikipedia.org/wiki)

لوحة (2)

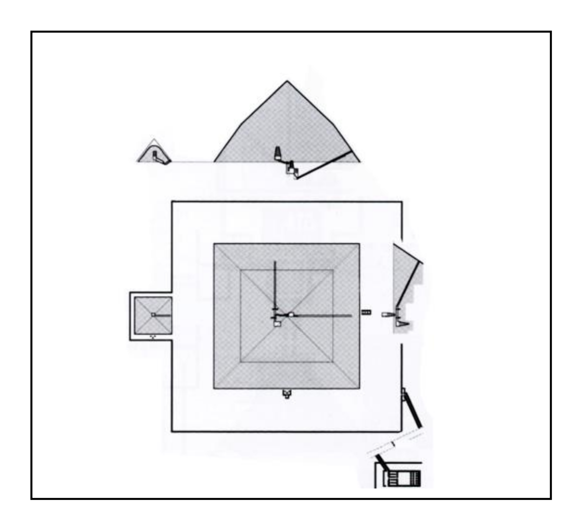


(أ) تصميم لهرم ميدوم – الملك سنفرو – الأسرة الرابعة – الدولة القديمة



(ب) هرم ميدوم – الملك سنفرو – الأسرة الرابعة – الدولة القديمة
(https://en.wikipedia.org/wiki)

لوحة (3)

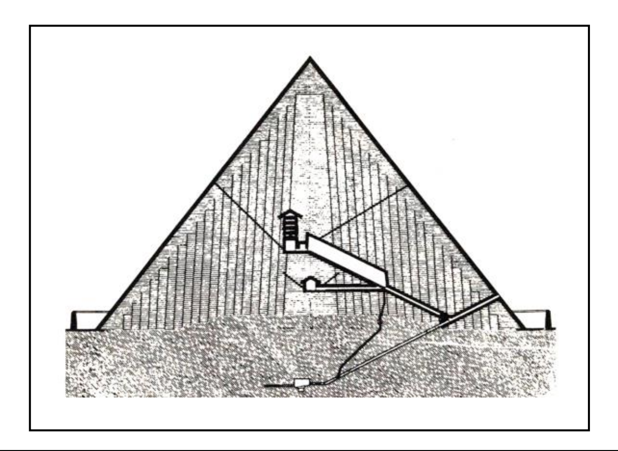


(أ) تصميم لهرم دهشور المنحني – الملك سنفرو – الأسرة الرابعة – الدولة القديمة (Borter, 1974)



(أ) هرم دهشور المنحني – الملك سنفرو – الأسرة الرابعة – الدولة القديمة (https://en.wikipedia.org/wiki)

لوحة (4)

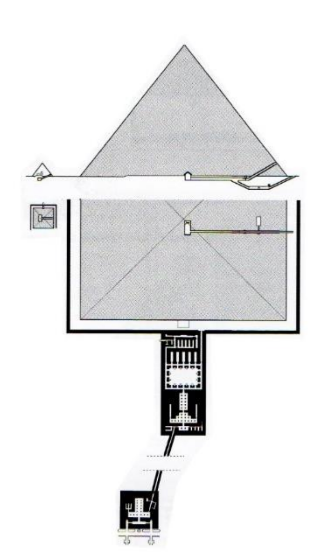


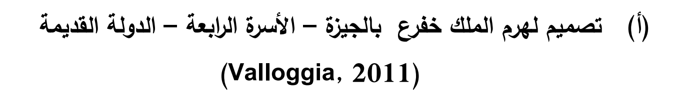
(أ) تصميم للهرم الأكبر للملك خوفو بالجيزة – الأسرة الرابعة – الدولة القديمة (Romer,J., 2007)



(ب) أهرامات خوفو وخفرع ومنقرع بالجيزة – الأسرة الرابعة – الدولة القديمة (https://en.wikipedia.org/wiki)

لوحة (5)



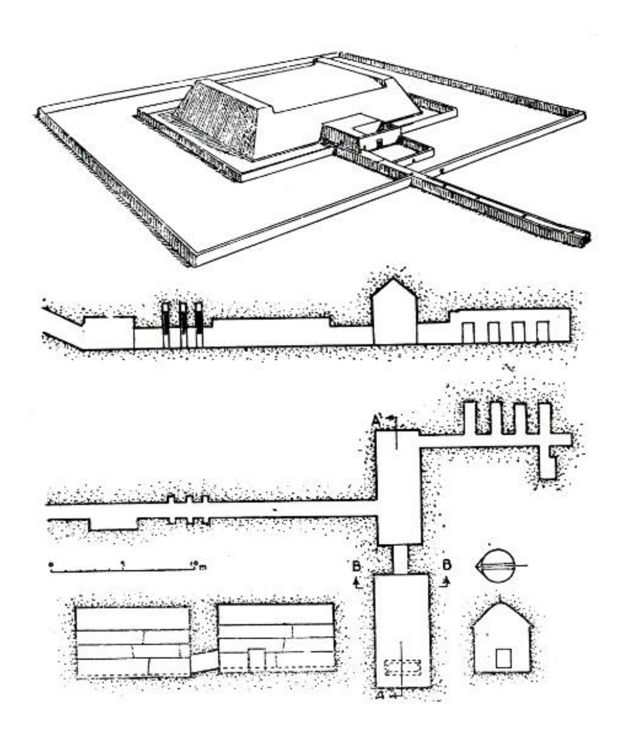


(أ) تصميم لهرم الملك خفرع بالجيزة – الأسرة الرابعة – الدولة القديمة (Valloggia, 2011)



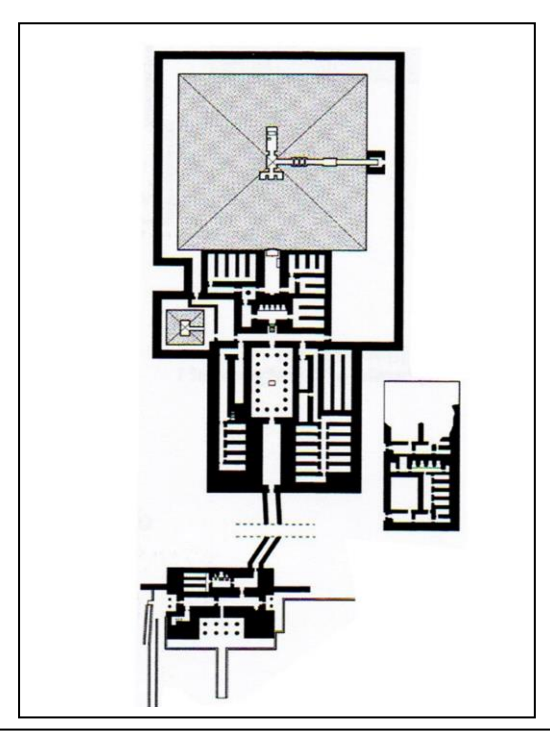
(ب) هرم الملك خفرع بالجيزة – الأسرة الرابعة – الدولة القديمة (https://en.wikipedia.org/wiki)

لوحة (6)

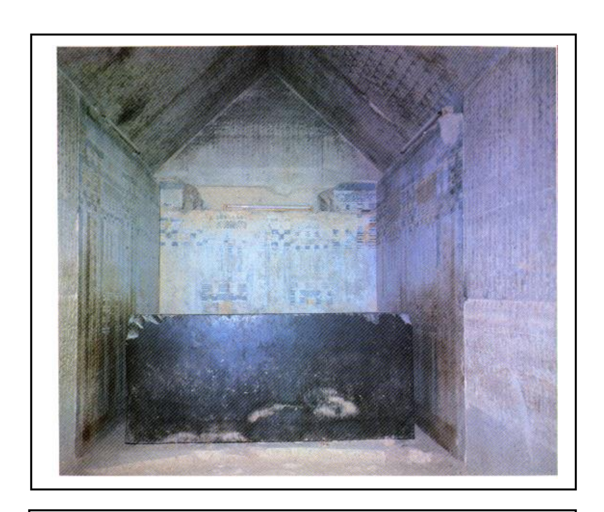


(أ) مسقط أفقي ومقاطع لمصطبة شبسكاف – الأسرة الرابعة – الدولة القديمة (بدوي، 1988)

لوحة (7)

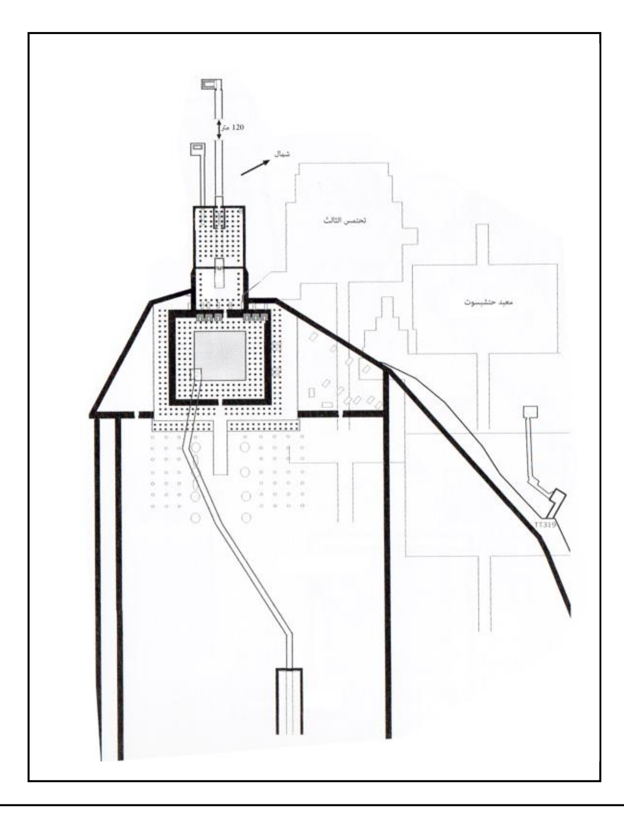


(أ) تصميم لهرم الملك أوناس – نهاية الأسرة الخامسة – الدولة القديمة
(Borter, 1974)

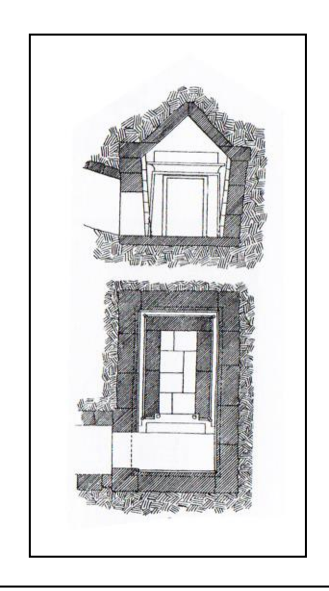


(ب) حجرة الدفن بهرم الملك أوناس – نهاية الأسرة الخامسة – الدولة القديمة
(http://www.pyramidtextsonline.com/platevii.html)

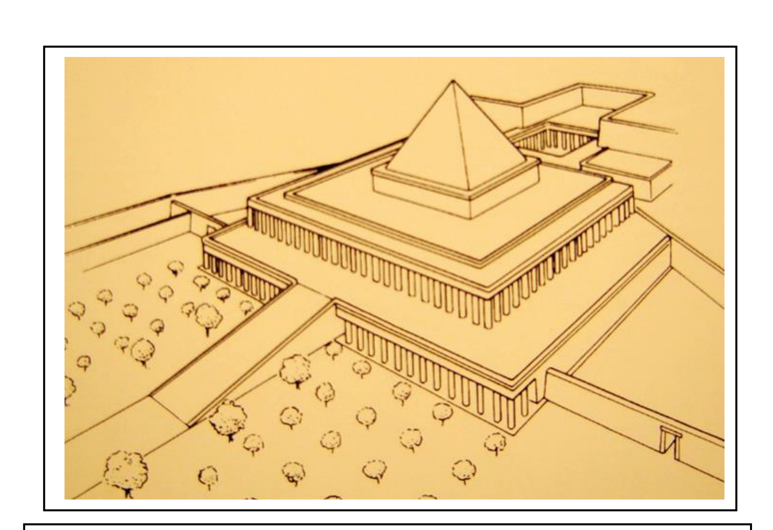
لوحة (8)



(أ) تصميم لمقبرة ومعبد منتوحتب الثاني بالدير البحري – الأسرة الحادية عشرة – الدولة الوسطي (Polz, 2007)

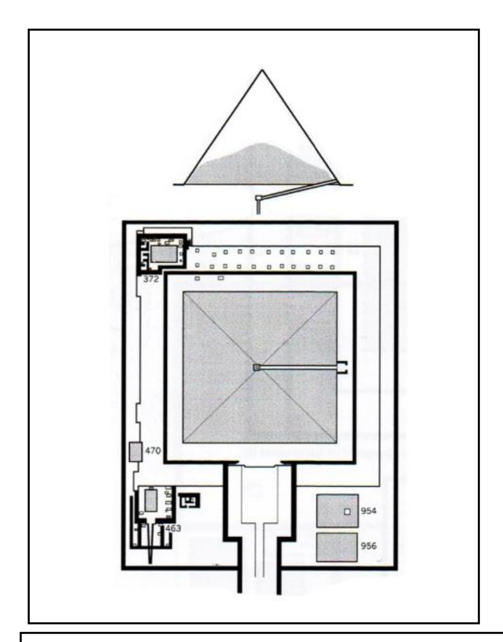


(ب) قطاع أمامي وآخر جانبي لحجرة الدفن للملك منتوحتب الثاني (Polz, 2007)



(ج) تصميم لتصور معبد منتوحتب الثاني بالدير البحري – الأسرة الحادية عشرة – الدولة الوسطي (Richard H. Wilkinson, 2000)

لوحة (9)

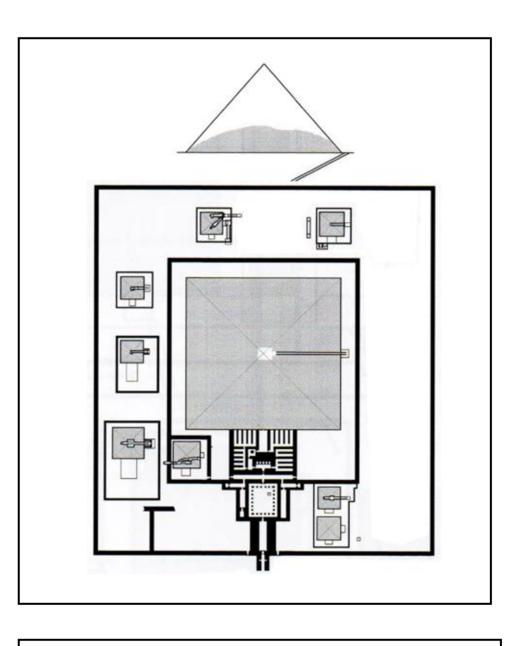


(أ) تصميم للمجموعة الهرمية للملك امنمحات الاول باللشت - الاسرة الثانية عشرة – الدولة الوسطي (Arnold, Di., 1988)



(ب) بقايا هرم ومقبرة الملك امنمحات الاول باللشت - الاسرة الثانية عشرة – الدولة الوسطي (https://en.wikipedia.org/wiki)

لوحة (10)

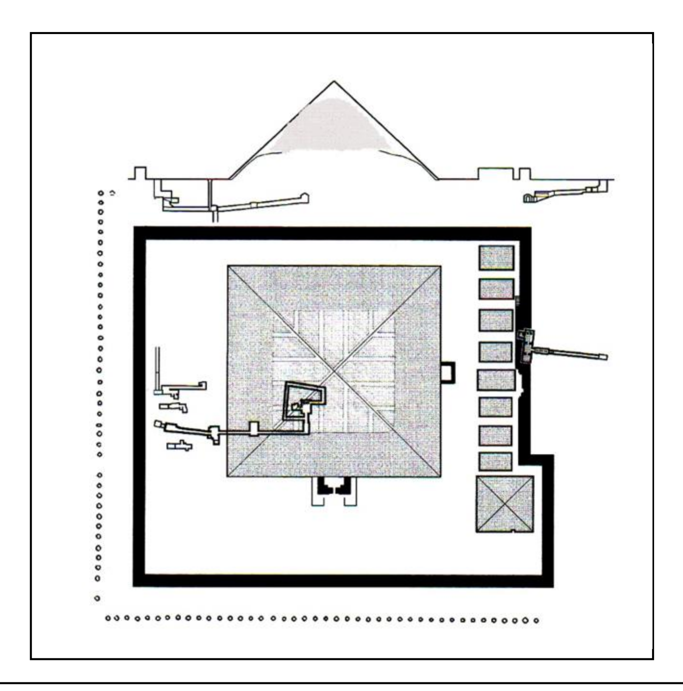


(أ) تصميم للمجموعة الهرمية للملك سنوسرت الاول باللشت - الاسرة الثانية عشرة – الدولة الوسطي (Arnold, Di., 1988)



(ب) بقايا هرم ومقبرة الملك سنوسرت الاول باللشت - الاسرة الثانية عشرة – الدولة الوسطي (https://en.wikipedia.org/wiki)

لوحة (11)

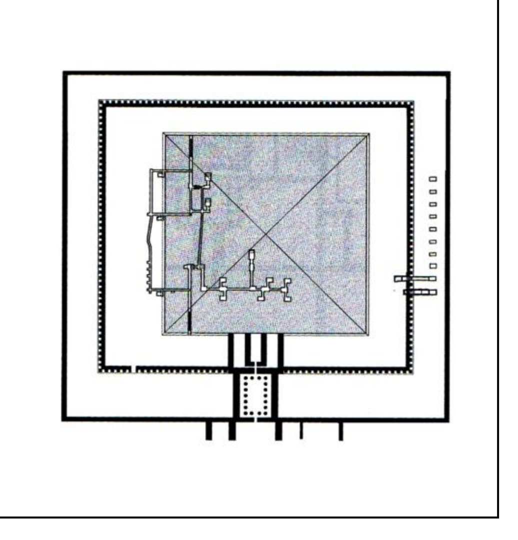


(أ) تصميم للمجموعة الهرمية للملك سنوسرت الثاني باللاهون - الاسرة الثانية عشرة – الدولة الوسطي (Petrie W.M.F., 1923)



(ب) بقايا هرم ومقبرة سنوسرت الثاني باللاهون - الاسرة الثانية عشرة – الدولة الوسطي (https://en.wikipedia.org/wiki)

لوحة (12)



(أ) تصميم للمجموعة الهرمية للملك امنمحات الثالث بهواره - الاسرة الثانية عشرة – الدولة الوسطي (Petrie, 1889)

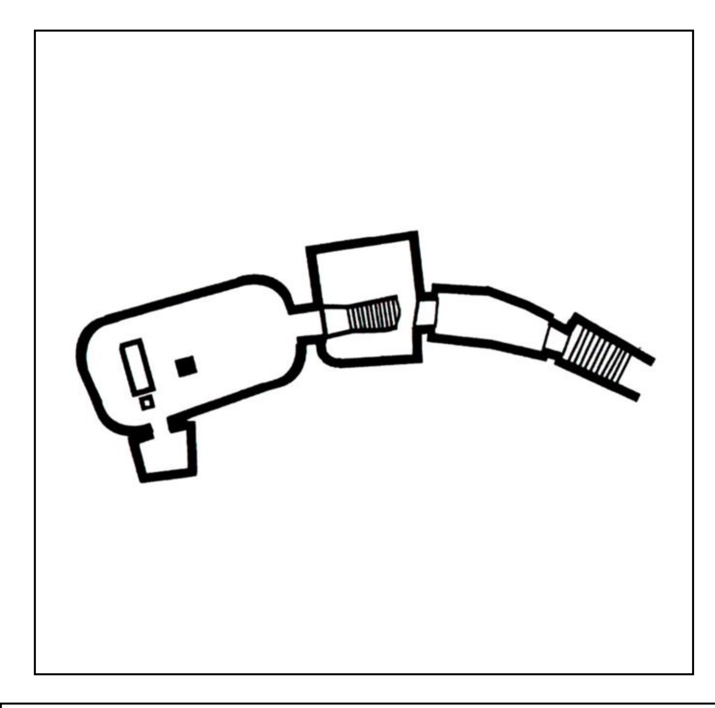


(ب) بقايا هرم ومقبرة امنمحات الثالث بهواره - الاسرة الثانية عشرة – الدولة الوسطي (https://en.wikipedia.org/wiki)

لوحة (13)



(أ) بانوراما لوادي الملوك بالدير البحري يوضح الموقع الذي اختاره الملك تحتمس الأول لإقامة مقبرته – الأسرة الثامنة عشرة بالدولة الحديثة (https://en.wikipedia.org/wiki)



(ب) مسقط لمقبرة الملك تحتمس الأول بالدير البحري – الأسرة الثامنة عشرة بالدولة الحديثة (Borter, B., 1960)

المراجع:

Arnold, D. (2002). The Pyramid Complex of Senwosret III at Dahshur: architectural studies. New York: Metropolitan Museum of Art.

Arnold, Di. (1974). Der Tempel des Konigs Mentuhotep von Deir el-Bahari,3vv. Mainz: Philipp von Zabern.

Arnold, Di. (1988). The Pyranid of Senwosret I. New York: Metropolitan Museum of Art.

Borter, B. (1960). Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts,Reliefs and Paintings, I : The Theban Necropolis. Oxford: 2nd Edition Clarendon Press/Griffith Institute.

Borter, B. (1974). Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts,Reliefs and Paintings, III : Memphis. Oxford: 2nd Edition by J.Malek . Griffith Institute.

CHIPIEZ, G. P. (1883). AHISTORY OF ART IN ANCIENT EGYPT. LONDON: Chapman and Hall , limited.

Goneim, Z. (1955). Die verschollene Pyramide. Brockhaus.

Goneim, Z. (1956). the lost pyramid . new york: rinehart & company ,inc.

Goneim, Z. (1957). Horus Sekhem-khet : the unfinished step pyramid at Saqqara . Vol. I. Le Caire: Imprimerie de l'Institut français d'archéologie orientale.

Harvey, S. (2008). Report on Abydos, Ahmose and Tetisheri Project, 2007-2006season. le caire: Annales du Service des Antiquites de l'egypte .82

Hobson, C. (1990). Exploring the World of the Pharaohs: A Complete Guide to Ancient Egypt. London: Thames & Hudson.

https://en.wikipedia.org/wiki/Main_Page. (n.d.(.

KUIPER, K. (2010). ANCIENT EGYPT FROM PREHISTORY TO THE ISLAMIC CONQUEST. New York: Rosen Publishing Group.

Petrie W.M.F., B. a. (1923). lahun II : The pyramid. London: British School of Archaeology in Egypt.
Petrie, W. (1889). Hawara,Biahmu and Arsinoe. London: British School of Archaeology in Egypt.
Polz. (2007). Der Beginn des Neuen Reiches: zur Vorgeschichte einer Zeitenwende. Berlin: Walter de Gruyter.
Porter, B. a. (1934). Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts,Reliefs and Paintings. IV.
REISNER, G. A. (1934). HISTORY OF THE EGYPTIAN MASTABA – IMPRIMERIE DE L'INSTITUT FRANCAIS. T.LXVI-MELANGES MASPERO,VOL.I. LE CAIRE: D'ARCHÉOLOGIE ORIENTALE.
REISNER, G. A. (1936). The Development of the Egyptian Tomb down to the Accession of Cheops. London : Oxford University Press.
Richard H. Wilkinson. (2000). The Complete Temples of Ancient Egypt . london: Thames & Hudson.
Romer,J. (2007). The Great pyramid :ancient Egypt Revisitid. Cambridge : Cambridge University Press.
Valloggia, M. (2011). Abou Rawash, I : Le complexe fune'raire royal de Re'djedef,2vv. Cairo: Institut francais d'archeologie orientale.
Watson, J. (2016). The 1st Dynasty Tombs of Saqqara in Egypt. http://www.touregypt.net/featurestories/firstdynastysaqqara.htm.

إرمان, أ. (1997). ديانة مصر القديمة. (ع. أبوبكر, Trans.) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة).

ألدريد, س. (1993). الفن المصرى القديم. (أ. زهير, Trans.) القاهرة: المجلس الأعلي للآثار.

بدوي, ا. (1988). تاريخ العمارة المصرية القديمة. (م. عبدالرازق, Trans.) القاهرة: المجلس الاعلي للآثار.

بيربراير, م. (1993). صناع الخلود. (ع. الدالى, Trans.) القاهرة: الهيئى المصرية العامة للكتاب.

توفيق, س. (1990). معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية. القاهرة: دار النهضة العربية.

شديد, ع. (1998). الفن المصري القديم من عصر ما قبل الأسرات حتي نهاية الدولة القديمة (2Vol.). القاهرة: كلية الفنون الجميلة بالقاهرة.

شكري, م. أ. (1970). العمارة في مصر القديمة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عكاشة, ث. (1990). الفن المصري القديم ج1 (العمارة). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فيرنر, م. (5005). سر الأهرامات. (خ. ا. اليزيد, Trans.) القاهرة: المجلس الاعلي للثقافة.

مرى, م. (1998). مصر ومجدها الغابر . (م. كمال, Trans.) القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

هرم زاوية العريان. (2017). ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

هورنونج, ا. (2002). وادى الملوك افق الابدية –العالم الاخر لدى قدماء المصريين (2Vol.). (م. ا. موسى, Trans.) القاهرة: مكتبة مدبولى.